المحدّث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ومنهجه في شرح الحديث

د. محمد عادل خان

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية العامة

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا

dradil1958@gmail.com

المقدمة

لقد أنجبت الهند من العلماء الأفذاذ والفقهاء الفطاحل من ذاع صيتهم في العالم، وانتشرت علومهم في الآفاق، حتى قال الإمام عبد الفتاح أبو غدة السوري –رحمه الله–: "هو إمام العصر ومسند الوقت، المحدث المفسر، الفقيه الأصولي، المتكلم النظار، الصوفي البصير، المؤرخ الأديب، الشاعر اللغوي، البحاثة النقاد، المحقق الموهوب[١]، الشيخ الإمام محمد أنور شاه الكشميري بن الشيخ معظم شاه بن شاه عبد الكبير النروري الكشميري، جاء سلفه من بغداد إلى الهند، ونزلوا ملتان، ثم رحلوا منها إلى لاهور ومنها إلى كشمير، فأصبحت لهم مستقراً ومقاما"[٢]، وكان كما قال سيدنا كعب بن زهير:

ورثوا المكارم كابراً عن كابر إن الكرام هم بنو الأخيار[٣]

مولده ونشأته:

ولد العلاّمة صباح يوم السبت السابع والعشرين من شوال سنة ١٢٩٢ الهجرية في قرية "ودوان" على وزن "لبنان" التابعة لمدينة كشمير، وكان والده عالما كبيراً، شيخاً في الطريقة السهروردية، وكانت والدته أيضا من القانتات الصالحات. ولما بلغ الشيخ الخامسة من عمره شرع في قراءة القرآن، فختم التنزيل العزيز، وفرغ من عدة رسائل بالفارسية في عامين على حضرة والده، ثم شرع في قراءة الكتب الفارسية من النثر والنظم، ورسائل الإنشاء وكتب الأخلاق[٤]، قال تلميذه العلامة البنوري: "سمعت الشيخ يقول: إني قرأت كتب الفارسية الرائجة في بلادنا خمسة أعوام"[٥].

وكان رحمه الله من مستهل طفولته على دأب نادر عجيب في التحصيل واكتساب العلوم والمعارف، فكان لا ينام مضطجعاً إلا ليلة الجمعة، وعداها يسهر لياليه بالمطالعة، وإذا غلبه النعاس نام جالساً[٦].

رحلته في طلب العلم:

ولما فرغ من الفارسية شرع في تحصيل العلوم العربية في بلده، كشمير وتوابعها، ففرغ من الصرف والنحو وقراءة شيء من المنطق والفلسفة والهيئة وغيرها، وهكذا برع الشيخ في العلوم في مقتبل عمره، قال تلميذه العلاّمة بدر عالم رحمه الله: "سمعت الشيخ يقول: كنت أفتي للناس بكشمير حتى بلغت من عمري اثنتي عشرة سنة، وكنت

---

[١] قال أبوغدة: "ليست هذه الألقاب من قبيل المدح والإطراء، ولا المبالغة والتفخيم، وإنما هي من الحقائق التي تحلّى بها الإمام الكشميري، ويعلم من اطّلع على تآليفه و ذخائر علومه، وليست ممن يكيل المديح جزافا والثناء اعتسافا". انظر: أبو غدة، مقدمته على كتاب "**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**" للكشميري، أنور شاه، ص١٣.

[٢] المصدر السابق. وراجع أيضاً: البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٢.

[٣] ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٥، ص١٩٣.

[٤] انظر: عبد الحي اللكنوي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٩٨، وراجع أيضا: أبو غدة، مقدمته على كتاب "**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**" للكشميري، ص١٣.

[٥] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٦.

[٦] انظر: الكشميري، **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، ص١٤.

أطالع الشروح من الفقة والنحو حين تم من عمري تسع حجج"[1]، ثم سافر الشيخ إلى أزهر الهند "دار العلوم" في قرية ديوبند، وكانت دار العلوم بديوبند حقا قرطبة الهند وأزهرها، وكانت ساحتها مستنيرة بجهابذة العلوم النقلية والعقلية وفحولها، فأدرك الشيخ فيها رجالا جمعوا إلى علومهم الرسمية علوم العرفاء والأولياء، وجمعوا إلى دقة المدارك وإصابة الرأي رفق القول وصدق اللهجة، أصحاب هيئة ووقار، وسنة وورع، وزهد وتقوى، كان يترأسهم شيخ العرب والعجم الشيخ محمود حسن الديوبندي رحمه الله، فوجد الإمام الكشميري عنده ضالته، وارتوى من مناهل علومه الظاهرية والباطنية، وتلمّذ كذلك في ديوبند على العلّامة المحدّث محمّد إسحاق المدني، وقرأ على هذين الشيخين كتب الحديث الشريف. يقول الشيخ: "قرأت صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، والجزأين الأخيرين من الهداية على شيخ العالَم شيخنا المحمود قدّس سره، وقرأت الصحيح لمسلم، وسنن النسائي الصغرى، وسنن ابن ماجه على الشيخ محمد إسحاق الكشميري رحمه الله"[2].

استبحاره المُدهش في علوم الرواية وحافظته المحيّرة للألباب:

كان الشيخ إماماً في التفسير والحديث، مرجعاً في الأصول والفروع، مجتهداً في علوم الدراية، حافظاً ومستوعباً للطبقات والتاريخ والسير، لو كان في عصر الغزالي أو الرازي أو ابن دقيق العيد أو ابن تيمية الحراني أو ابن حجر العسقلاني لكان درة فاخرة من عقد تلك القرون المباركة، وكان إذا طالع كتاباً لم يرد ادخار مباحثه وبقي في حفظه إلى نحو خمس عشرة سنة، وسمع بهذا الشيخ المحدّث حسين أحمد المدني عن الشيخ بنفسه، ونقله غير واحد من تلامذته الأعلام في كتبهم، وهو إلى جانب قوة الحفظ قد وُفّق لسرعة المطالعة، فكان في بداية زمن التدريس يطالع من "مسند أحمد" المطبوع بمصر مائتي صفحة كل يوم، مع غور وإمعان في أسانيده وحلّ مشكلاته، ومع هذه السرعة لخّص منه أدلة الحنفية والأحاديث المفيدة، ثم طالع مرة أخرى في أواخر عمره لالتقاط أحاديث نزول سيّدنا عيسى على نبيّنا وعليه السلام[3].

الشيخ واشتغاله بكتب الحديث:

طالع الشيخ رحمه الله من الحديث وما يلحق به ما تيسّر له من متون الحديث بعد الصّحاح الستّة من "مسند الدارمي" و"مسند أحمد" و"منتقى ابن الجارود" و"مستدرك الحاكم" و"سنن الدار قطني" و"مصنّف ابن أبي شيبة" و"مجمع الزوائد" للحافظ نورالدين الهيثمي و"جامع الصغير" للسيوطي و"كنز العمال" للشيخ المحدث حسام الدين المتقي، وما قدّره له الله من كتب الحديث من المطبوعات والمخطوطات في زوايا الهند وديار الحرمين وما لايعلمه إلا الله[4].

---

[1] الكشميري، **رسائل الإمام الكشميري**، ج١، ص١٠.

[2] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٦، وانظر أيضا: أبو غدة، مقدمته على كتاب "**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**" للكشميري، ص١٥.

[3] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٢٦.

[4] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٤٨.

يقول أرشد تلامذته العلّامة السيّد محمّد يوسف البنّوري: "طالع الشيخ من شروح الحديث ما يربو عددها على مأين، وقد طالع ممّا يتعلق بـ"الصحيح" للإمام البخاري فقط نحو ثلاثين شرحا من مطبوع ومخطوط، وفيها مثل "فتح الباري" في ثلاثة عشر جزءاً، وجزءاً من مقدمته، و"عمدة القاري" للحافظ العيني في أحد عشر جزءاً، و"إرشاد الساري" للقسطلاني في عشرة أجزاء. وكان طالع في شهر رمضان من العام الذي أراد قراءة "الصحيح" على شيخه من شهر شوال بديوبند، ثم كان يطالع مع درس الصحيح في عهد تعلّمه "فتح الباري" درساً درساً، وكانت مطالعته مع "الصحيح" سواء بسواء، بل كان يسبق مطالعة "الفتح" على درس "الصحيح" بكثير، وسمعت من الشيخ رحمه الله نفسه يقول: "إني مرضت في تلك الأيام سبعة عشر يوماً، ولكن لما حضرت الدرس رأيت أنه لم يصل الدرس إلى موضعٍ بلغت إليه مطالعتي". وكان قد طالع متن الصحيح للإمام البخاري ثلاث عشرة مرة من غير أن يلاحظ ما بين السطور وما في الهوامش"[1].

ثناؤه على الحافظ:

وكان الشيخ أنور رحمه الله يُثني كثيراً على شرح الحافظ ابن حجر، ويفضّله على سائر الشروح على الصحيح للحفّاظ المتقنين من الحنفية والشافعية[2]، وكان يقول فيه: "حافظ الدنيا"، وكان يُعجبه سعة اطّلاعه وتبحّره المحير للأنظار، ولذلك كان يتعجّب الشيخ الكشميري من ذهوله في بعض المواضع، وربما كان يقول الحافظ: "ههنا شيء كذا وكذا"، ولم يذكره في "الفتح"، وتنبه له في "التلخيص الحبير" فقال كذا وكذا"، أو يقول: "تنبه له في "تهذيب التهذيب" في ترجمة فلان"، ولكن كان يشكو ويشتكي من صنيعه في اعتصام مذهبه في كل صحيح وخطأ، والتزام إحقاق رأي الشافعية في كل مقام، مع أنه يعلق على الحافظ بدر الدين العيني بأنه لم يصب في الرد على الحافظ في بعض المواقع[3].

تدريسه في شتى مدارس الهند:

في سنة ١٣١٣هجرية، لما فرغ من قراءة الكتب، وتخرّج من دار العلوم ديوبند ألمعيّاً جَهبذاً في العلوم روايةً ودرايةً، وهو في عنفوان الشباب، فُوّض إليه التدريس في "مدرسة عبد الرب"، فدرّس فيها عدّة شهورٍ، ثم افتتح مدرسةً في عاصمة دهلي، وسمّاها "المدرسة الأمينية"، فقصد إليها عطشى العلوم من كل فجّ عميق، فكان فيها مدرّسا لأمّهات كتب الحديث والتفسير، وأفاد آلاف الناس، تخرّجوا على يديه الكريمتين، ولما أغراه الشوق إلى منشئه كشمير، فغادر هذه المدرسة، فودّعه تلامذته ومنتسبوه حسرةً وتململاً، وأقام بكشمير ثلاث سنوات، وأسّس فيها مدرسة "فيض عام" فقام بها مدرّساً ومفتياً، وواعظاً للأمة وناصحاً لها يراعةً ولساناً[4].

ثم اشتاق إلى زيارة بيت الله الحرام، وإلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوُفّق في إكمال شوقه سنة ١٣٢٣هـ، ومكث في مكة عدّة أشهر، مشغولاً بالطواف والهاً باكياً، ثم توجّه إلى المدينة المنورة، فلبث فيها برهة من

---

[1] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٤٩.

[2] راجع: الكشميري، **فيض الباري على صحيح البخاري**، ج١، ص٣٣.

[3] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٥٠.

[4] أبو غدة، مقدمته على كتاب "**التصريح بما تواتر في نزول المسيح**" للكشميري، ص١٦.

الدهر يروي غليله، ولقي فيها الشيخ الفاضل حسين الجسر الطرابلسي مؤلف "الرسالة الحميدية" و"الحصون الحميدية"، ولازمه مدّة، فأجازه الشيخ الجسر بأسانيده في الحديث، كما لقي رجالاً من أكابر علماء البلاد الإسلامية، وذاكرهم في مهمّات المسائل، فأفاد واستفاد[1]، واغتنم فرصة قُربه من مكتبات المدينة المنورة، وخاصة "مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت الحسيني" و"المكتبة المحمودية"، وكانت فيهما ذخائر نادرة، فانكب على مطالعة نفائسهما خصيصا من التفسير والحديث، حتى امتلأ صدره بعلوم تلك الأسفار الزاخرة، ثم عاد إلى وطنه وفي قلبه رغبة مِلِحَّة في شدّ الرحال إلى الحرمين، ومن هنا بلغ إلى ديوبند لزيارة شيخه شيخ الهند العلامة محمود حسن الديوبندي، فأخبره بما كان يريد من الهجرة إلى الحرمين، وكان الشيخ قد تفرّس فيه آثار النجابة الباهرة، وعلامات علمه وفضله وتقواه وورعه، وكان قد أحسّ أن معالم الحديث ومراسم حقائق العلوم الإسلامية تنمحي وتندرس، وعسى أن يحكم عليها بالزوال، لو لم يقم بأعباء هذا الأمر الجليل ضليعٌ مثله، فأقنعه بالقيام بدار العلوم ديوبند، وسافر شيخه إلى الحرمين، يقول العلاّمة أبو الحسن علي الندوي: "ولما سافر شيخه العلاّمة محمود حسن الديوبندي إلى الحجاز سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف وكان ينوي الإقامة الطويلة هناك، استخلفه في تدريس الحديث وولاء رسالة التدريس في ديوبند، فاشتغل في تدريس سنن الترمذي، وصحيح البخاري، وانتهت إليه الرئاسة في تدريس الحديث في الهند، وبقي مشتغلاً به مدة ثلاث عشرة سنة في تحقيق وإتقان، وتوسع في نقل المذاهب ودلائلها، واستحضار للنقول، واطلاع على دواوين السنة وشروح الحديث وكتب المتقدمين، وكان أكبر همّه التطبيق بين الحديث والفقه، ينتصر للمذهب الحنفي ويقيم الدلائل على صحّته وأرجحيّته، وقد نفع الله بدرسه خلقا كثيرا، وتخرج على يديه عددٌ كبيرٌ من الفضلاء، اشتغلوا بتدريس الحديث ونشر العلم"[2].

وظلّ الشيخ عاكفاً على التدريس والإفادة، منقطعاً إلى مطالعة الكتب، لا يعرف اللذّة في غيرها، حتى حدثت كارثةٌ في المدرسة سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف ألجأته إلى الاعتزال عن رئاسة التدريس وشياخة الحديث فيها، وغادر ديوبند، بطلبٍ من بعض أصحابه وتلاميذه، فتوجّه إلى مدينة "دهابيل" في جماعةٍ من أصحابه وتلاميذه، وأسّس له بعض التجّار مدرسةً سمّوها "الجامعة الإسلامية"، فعكف فيها على الدرس والإفادة، فانتفعت به هذه البلاد، وأمّه طلبة الحديث والعلماء من الآفاق، وبقي يدرّس ويفيد، وكان قد غلبت عليه رقّة في آخر حياته، فكان يأخذه البكاء في دروسه ومواعظه فكان يَبكي ويُبكي رحمه الله، غير أنه اجتوى له المقام في مدينة "دابيل"، وما طاب له هواؤها، حتى برحت به أدواء، وأنهكته الأمراض، فسافر إلى ديوبند، ووفّاه الأجل لليلة خلت من صفر سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف، وصلى عليه جمع كبير من الطلبة والعلماء والمحبين له، ودُفن قريباً من بيته عند مصلى العيد[3].

---

[1] راجع: الكشميري، **حيات كشميري**، ص٣٦، وأيضاً اللكنوي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٩٨.

[2] اللكنوي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٩٩.

[3] راجع: كوندو عبد الرحمن، **تقدس أنور**، ص٢١٤-٢١٥، وانظر أيضا: اللكنوي، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٩٩، وأيضاً البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص١٩-١٨.

آدابه العامّة في تدريس الحديث:

كان للشيخ خصائص ومزايا تستولي على القلوب روعتها لم يرها أحد من بعده:

١. منها: أنه كان يلخّص الكلام في رجال الحديث إن كان لذكره حاجة في الباب، أو فائدة يستحسن ذكرها، وكان لا يطيل الكلام في الجرح والتعديل حيث كان يقول: ولا أُكثر من نقل كلامهم في الرجال، وما فيه من كثرة القيل والقال؛ لأنه ليس عندي كبير ميزان في الاعتدال، وبعضهم يسكت عند الوفاق، ويجرح عند الخلاف، وإذا دعيت نزالٌ، وهذا صنيع لا يشفي ولايكفي، وإنما سبيل الجدال.

٢. ومنها: أنه كان يعتني ببيان منشأ الخلاف بين الأئمة، ولاسيّما في المسائل التي تتكر على رؤوس الأشهاد، فكان يذكر في هذا الصدد أموراً تطمئن بها القلوب.

٣. ومنها: أنه كلما ذكر كتابا أو مؤلفا، فكان يكشف عن منْزلته في العلم وخصائصه بغاية من الإنصاف من غير غضّ عن قدره، أو إطراء في شأنه، ليكون بصيرة للطلبة، ووسيلة إلى العلم الصحيح.

هذه أمّهات خصائصه العامّة في دراسة الحديث. إن شئت فراجع للتفصيل "نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور" وأماليه" وشرحه على صحيح البخاري "فيض الباري" و"العرف الشذي".

خصائصه في تدريس صحيح البخاري:

كان الشيخ الكشميري رحمه الله اغتنم فرصة دراسة جامع الترمذي لتحقيق أحاديث الأحكام، وتبيين مذاهب الأئمة واستيعاب أدلتها، وترجيح ما هو الراجح منها، كما كان هو دأبه، ولما اقتصر تدريسه في الآخر على صحيح البخاري فكان يعتني فيه بما كان يعتني به في جامع الترمذي، ماعدا المهمّات التي كان يتصدى لبيانها في الصحيح، دونكم نبذةً من خصائص تدريسه لصحيح البخاري:

١. أنه كان يلخّص كلام الشارحين، ويأمر بالمراجعة إن كان هناك بسط في الموضوع، ويزيد عليه ما كان عنده من الأبحاث الدقيقة، والمواضيع المهمّة، مما جمع الله في صدره المتلاطم بالعلوم والمعارف.

٢. أنه كان يتعرّض لكثير من مشكلات العلوم، وكان يذكر في حلّها نفائس ما يساوي رحلة، حيث يكون الصحيح آخر كتاب في آخر سنة الفراغ على نظام الدراسة في الهند غالبا، ولا سيما لمسائل الكلام، لأن الإمام البخاري أيضا يتعرّض لها كثيرا، وخاصةً في كتاب التوحيد الموضوع لذلك، وكان يتكلم فيها كمسلك المحققين من قدماء المتكلمين، وكان يقول: "كلام البخاري في التوحيد على مسلك القدماء، وهؤلاء الشارحون لما استأنسوا بالتوحيد الذي دار بين المتأخرين، ربما تقصر مداركهم عن مدارك الإمام البخاري، فيتأولون كلامه بما هو بريءٌ منه". ومن أجل ذلك كان يعتني بأمثال هذه المواضع اعتناءاً بليغاً.

٣. أنه كان يضع عن يمينه ويساره كثيراً من كتب الحديث ولاسيما متون الحديث، فإن كان فيها إشكالٌ في موضوع يتعلق بالصحيح فكان يفتحها ويقرأها على الطلبة ويحلّ المشكلات، أو كانت هناك فائدة تلائم الموضوع فيذكرها بعبارتها، فكأن درس حديثه هذا كان درسا لسائر الأمهات بل ما عداها أيضا.

ميزاته في شرح أحاديث الأحكام:

١. أنه كان جلّ جهده في الأحاديث التي تمسّك بها كلّ من أئمة المذاهب الأربعة مختلفين في معانيها أن يحاول الوقوف على غرض الشارع، بعد تحقيق محطّ الكلام وتحقيقه، ثم تحقيق مناطه وتخريجه، غير مبال بعدم موافقتها للمذهب الحنفي، وكان صنيعه في أمثال هذه المواضع كمحدّثٍ حاذقٍ مجتهدٍ، فإذا استبان عنده استمسك به، ولم يحفَل بعموم اللفظ ولاباختلاف اتباع المذاهب.

ومثاله: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات»، وهذا أول حديث في صحيح البخاري الذي يسمّى بحديث النية، قد طال فيه نزاع أعلام الحديث وأئمة المذاهب، واختلاف الحنفية والشافعية فيه مشهور، حتى إن الحافظ بدر الدين العيني قد وشّى وزيّن أوراقاً كثيرةً لتقوية مذهبه[١]، ولكن دعوني لنقضي وقفة يسيرة مع كلام الإمام الألمعي، فقال الشيخ رحمه الله: "إن كل ذلك تكلفات لم يردها الشارع، وجميع ما قالوا بعيد عن غرض النبي صلى الله عليه وسلم، ومراده الصحيح المنقح أن اعتبار الأعمال عند الله بحسب النيات والعزائم القلبية، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، يعني أن صورة أعمال الخير تعتبر إذا كانت من نية خالصة وقلب سليم، فالعمل الصالح في الظاهر إذا لم يرد به صاحبه وجه الله كالعلم، أراد به صاحبُه الرياء أو الجهاد، أراد به صاحبه إظهار شجاعته وبسالته أو نيل الغنيمة، أو الإنفاق، أراد صاحبه رياء الناس، فلا عبرة لها، بل حبط كل ذلك عند الله، فليس له أجرها، بل عليه وزرها، ويتفاوت مراتب الاعتبار بتفاوت مراتب النية قوةً وضعفاً، وخلوصاً وغِشًّا، فهذا لا تعلق له بمحل النِّزاع ومورد الجدل من تقدير الصحة أو الثواب ثم التفريعات عليه"[٢].

٢. أنه إذا تعدّدت طرق الحديث فلم يكن الشيخ يدير الكلام على طريق واحد، بل كان يجمعها إن أمكن الجمع، وإلا فيتوخّى ما هو أوفق بغرض الشارع أو أقرب إليه.

مثاله ما في "فيض الباري" في المواقيت من شرح قوله صلى الله عليه وسلم: «من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح...»[٣]، اختلف الأئمة في مراده الصحيح، فقال الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله: إنه يختص بالمعذور كالنائم وشبهه، وأنه لاتفسد الصلاة بطلوع الشمس وغروبها في أثنائها، واضطربت فيه أقوال الحنفية من المحدّثين والأصوليين،كما هو مشهور في الشروح للفقهاء الحنفية[٤]، يقول الشيخ شارحاً الحديث: "إن ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة مشكل، فإنه لا قرينة على تخصيص الحديث بالمعذور قط، وما أجاب به الحنفية فلا يشفي الغُلة، والذي يظهر لي أن الحديث صُدع بمسألة الجماعة لا الأوقات، فليحمل على المسبوق، ويدل عليه أن الحديث روي بطرقٍ في مواضع:

---

[١] راجع للتفصيل: العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ج١، ص٦٣-٦٧.

[٢] هذا ملخّص ما أفاده الشيخ في شرح حديث النية، وفي كلامه بسط وتفصيل، إن شئت فراجع أماليه "**فيض الباري على صحيح البخاري**" ج١، ص٨٠-٨٩ وأيضا البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٥٢.

[٣] البخاري، **الصحيح**، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك من الفجر ركعة، رقم٥٧٩.

[٤] راجع لتفصيل المذاهب: العيني، **عمدة القاري**، ج٥، ص٤٧.

- الأوّل: ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة بلفظ: «من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة»[١]، وفي طريق آخر له بلفظ: «من أدرك ركعة من الصلاة مع الإمام ...»[٢]، فهذا صريحٌ في أن المراد به المسبوق.
- الثاني: ما رواه أبوداود في سننه: «من أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة»[٣]، وصحّحه ابن خزيمة[٤].
- الثالث: ما رواه النسائي في سننه بلفظ: «من أدرك ركعة من الجمعة ...»[٥].
- الرابع: ما ذُكر أوّلاً، أخرجه الترمذي بذلك اللفظ[٦].

وقد اتفقوا في المواضع الثلاثة أنه في حق المسبوق، فليكن في هذا الموضع الرابع أيضاً في حقه"، ثم بيّن الشيخ تخصيص الصبح والعصر في ذلك الحديث، مستدلاً بشواهد ودلائل لا يتحمل مقالنا هذا ذكرها، وقد استدل الحافظ ابن حجر لذلك الحديث تأييداً بحديث عزرة بن تميم عن أبي هريرة مرفوعا: «إذا صلى أحدكم ركعة من الصبح ثم طلعت الشمس فليصل إليها أخرى»، وعزاه إلى النسائي في "الكبرى"[٧]. يقول الشيخ الكشميري: "في "في بيان مراد الحافظ ابن حجر سهوٌ وتسامحٌ، فإن هذا حديث واحد، قد روي أكثر من عشرين طريقا مع اختلاف ألفاظه، فخمسٌ منها في "مسند أحمد"، وخمسٌ منها في "سنن الدارقطني"، وثلاثٌ منها في "سنن البيهقي"، وطريقان في "صحيح ابن حبان"، وطريقان في "المستدرك"، وطريقٌ عند النسائي في "الكبرى"، وطريقٌ عند الطحاوي، وطريقٌ عند الترمذي، وطريقٌ في "طبقات الحافظ شمس الدين الذهبي". ومدار الكلّ على قتادة، وتبيّن عندي بعد الفحص البالغ والتتبّع الكثير: أن الحديث يتعلق بسنة الفجر، فمن لم يدرك وقتها قبل طلوع الشمس فليصلها بعد طلوعها، ولفظ عزرة بن تميم لا يوفي المقصود، وفيه شيءٌ لم يتنبّه له الحافظ في "الفتح"، وتنبّه له في "تهذيب التهذيب" في ترجمة عزرة بن تميم، فقدح في رواية تميم بتفرّد قتادة عنه، يعني أن الحديث لم يخرجه بهذا اللفظ عن تميم غير قتادة ولم يتابعه أحدٌ، فرواية قتادة عن تميم غير محفوظة عند الحافظ ابن حجر رحمه الله"[٨].

٣. ومنها: أنه إذا ثبت أمرٌ في حديث، وظاهر الرواية مخالف له احتجاجاً بحديثٍ آخر، فمن عادات عامّة الفقهاء الحنفية أنهم لا يجوّزون العمل به في مرتبةٍ من المراتب، وكان الشيخ رحمه الله يجوّز العمل به في مرتبةٍ خلاف الأولى، ومن أمثلته: الترجيع في الأذان، والجهر بالتأمين والإسرار به، والفاتحة خلف الإمام للمؤتم في السرية، ورفع اليدين عند الركوع والقيام منه، وما شاكلها، كلّ ذلك كان جائزاً عند الشيخ الإمام الكشميري ولكنه كان

---

[١] مسلم، **الصحيح**، كتاب المساجد و مواضع الصلاة، باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة، رقم١٦١.

[٢] مسلم، **الصحيح**، كتاب المساجد و مواضع الصلاة، باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة، رقم١٦٢.

[٣] أبو داود، **السنن**، كتاب الصلاة، باب الرجل يدرك الإمام ساجدا كيف يصنع؟، رقم٨٩٣.

[٤] انظر: ابن خزيمة، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق د. الأعظمي، كتاب الإمامة، باب إدراك المأموم الإمام ساجدا، رقم١٦٢٢.

[٥] انظر: النسائي، **سنن النسائي الصغرى**، كتاب المواقيت، باب من أدرك ركعة من الصلاة، رقم٥٥٦.

[٦] انظر: الترمذي، **السنن**، تحقيق د. بشار معروف، كتاب الجمعة، بابٌ في من أدرك من الجمعة ركعة، رقم٥٢٤.

[٧] انظر: النسائي، **السنن الكبرى**، كتاب الصلاة، باب عدد صلاة الصبح، رقم٤٦٣.

[٨] راجع للتفصيل: الكشميري، **فيض الباري على شرح صحيح البخاري**، ج٢، ص١٨٨-١٢٤، وأيضاً البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٦٣-٦٢.

خلافا للأولى، قال الشيخ رحمه الله: "كنت رأيت في "البدائع" أن الرفع في غير التحريمة مكروهٌ تحريماً، فكان في قلبي منه شيء، وكنت أتمنّى أن أفوز بنقل من الأكابر خلافه حتى رأيت بعد خمس وعشرين سنة أن الإمام أبا بكر الجصّاص صرّح في "أحكام القرآن" في ضمن بحثٍ استطراداً من مسائل رؤية الهلال: أن الخلاف فيه في الأولويّة[1]، فبرد غليل صدري وسكن جأشي".

وقال: "ثم رأيت في نقول من الأكابر أن الخلاف في سائر المذكورات في الأولويّة. فذكر الشيخ بدر الدين العيني في "مباني الأخبار في شرح معاني الآثار" عن أبي عمر صاحب "التمهيد": "أن الاختلاف في التشهّد وفي الأذان والإقامة وعدد التكبير على الجنائز وعدد التكبير في العيدين ورفع الأيدي عند الركوع والرفع في الصلاة ونحو ذلك كلّه اختلافٌ في مباحٍ". قال الشيخ: "ومثله ذكر الحافظ ابن تيمية في "فتاواه" و"منهاج السنة"، وابن القيم في "الهدى".

وربما كان الشيخ يقيم المراتب في شيء تشديداً وتخفيفاً، فيحمل كل حديث على محملٍ. مثاله: مسألة العورة، هل الركبة من العورة أم لا؟ والخلاف فيها مشهورٌ. فقال الشيخ: "الركبة عورةٌ في نظر الشريعة ولكنها أخفّ من الفخذ، ثم الفخذ أشدّ منه، فكشفه يكون أشنع وأقبح من كشف الركبة، ثم ما فوق الفخذ أغلظ منه، فيتحمّل كشف الركبة في بعض المواضع لا ما فوقها[2]. هكذا كان دأب الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري في التطبيق بين الأخبار.

أثر تدريسه للحديث على الحلقات الحديثية في الهند:

كان علماء الحديث في الهند يسلكون في تدريس كتب الصحاح مسلك الإيجاز والاختصار، أو ينتهجون منهج السرد، ولكن الشيخ الكشميري رحمه الله جرى على طراز الأوّلين في تحقيق الحديث، فاغتبط العلماء بحاله وجروا على نهجه، فازدادوا تحقيقاً ومطالعةً للحديث، وتركوا الجمود، فارتقوا إلى الذروة العلى، فكان

---

[1] يقول أبو بكر الجصاص: "الْأَذَان وَالْإِقَامَة وَرَفْعُ الْيَدَيْنِ فِي تَكْبِيرِ الرُّكُوعِ وَتَكْبِيرَاتِ الْعِيدَيْنِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِمَّا عَمَّتْ الْبَلْوَى بِهِ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَكُلُّ مَنْ يَرْوِي عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيهِ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَرْوِيهِ مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ، فَلَا يَخْلُو حِينَئِذٍ ذَلِكَ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ: إمَّا أَنْ يَكُونَ لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَوْقِيفٌ لِلْكَافَّةِ مَعَ عُمُومِ الْحَاجَةِ إلَيْهِ. وَفِي هَذَا مَا يُبْطِلُ أَصْلَكَ الَّذِي بَنَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ كُلَّ مَا بِالنَّاسِ إلَيْهِ حَاجَةٌ عَامَّةٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَوْقِيفُ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ قَدْ كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَوْقِيفٌ لِلْكَافَّةِ عَلَى شَيْءٍ بِعَيْنِهِ فَلَمْ تَنْقُلْهُ حِينَ وَرَدَ إلَيْنَا مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ. وَفِي ذَلِكَ هَدْمُ قَاعِدَتِكَ أَيْضًا فِي اعْتِبَارِ نَقْلِ الْكَافَّةِ فِيمَا عَمَّتْ بِهِ الْبَلْوَى. قِيلَ لَهُ: هَذَا سُؤَالُ مَن لَّمْ يَضْبِطِ الْأَصْلَ الَّذِي بَنَيْنَا عَلَيْهِ الْكَلَامَ فِي الْمَسْأَلَة، وَذَلِكَ أَنَّا قُلْنَا ذَلِكَ فِيمَا يَلْزَمُ الْكَافَّةَ، وَيَكُونُونَ مُتَعَبَّدِينَ فِيهِ بِفَرْضٍ لَا يَجُوزُ لَهُمْ تَرْكُهُ وَلَا مُخَالَفَتُهُ، وَذَلِكَ مِثْلُ الإمامة والفروض التي تلزم العامة. وأما مَا لَيْسَ بِفَرْضٍ فَهُمْ مُخَيَّرُونَ فِي أَنْ يَفْعَلُوا مَا شَاءُوا مِنْهُ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِيهِ فِي الْأَفْضَلِ مِنْهُ، وَلَيْسَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَوْقِيفُهُمْ عَلَى الْأَفْضَلِ مِمَّا خَيَّرَهُمْ فِيهِ، وَهَذَا سَبِيلُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَتَكْبِيرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي نَحْنُ مُخَيَّرُونَ فِيهَا، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي الْأَفْضَلِ مِنْهَا، فَلِذَلِكَ جَازَ وُرُودُ بَعْضِ الْأَخْبَارِ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ الْآحَادِ، وَيُحْمَلُ الْأَمْرُ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَدْ كَانَ منه جميع ذلك تعليما منه على وَجْهَ التَّخْيِيرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِثْلَ مَا قَدْ وُقِفُوا عَلَيْهِ" أبو بكر الجصاص، **أحكام القرآن**، ج١، ص٢٥٣.

[2] راجع: الكشميري، **فيض الباري**، ج٢، ص١٤-١٣، وأيضاً البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٥٨-٥٧.

خاتمة المحدثين في الهند وإمام هذه النشأة العلمية الحديثيّة فيها، وكان النّاس قبيل هذا العصر يكتفون بأدنى الحظّ في الحديث، وكان غاية سعيهم أنهم إذا اطّلعوا على حديثٍ يخالف مذهب واحدٍ من أئمة الاجتهاد، تصدّوا لتأويله من دون أن يستقرؤوا طرق ذلك الحديث وما في طرقه من الاختلاف، وكان باب التحقيق عليهم مسدوداً، فمنّ الله على الهند بنهضته، فهداهم إلى علوم الحديث.

الشيخ وأسانيده في الحديث:

إن من خصائص الأمة المحمّدية الإسناد في الدين، فيسندون كل ما يدينون به عن كبار الأمة كابراً عن كابر، طبقةً بعد طبقة، حتى تنتهي السلسلة إلى قائد الخير ورسول الرحمة سيّدنا ومولانا محمّد صلى الله عليه وسلم، إلى جبريل الأمين، إلى رب العالمين جلّ ذكره، فهنا نشير إلى أسانيد الشيخ رحمه الله التي اطّلعنا عليها:

- الإسناد الأول: لسائر كتب الحديث عن شيخه مولانا محمود حسن الديوبندي، ثم لإسناده طرق:

الأوّل: عن الحجّة العارف مولانا محمّد قاسم النانوتوي، وعن المحدّث الحجّة مولانا رشيد أحمد الكنكوهي، كلاهما عن الشيخ المحدّث الشاه عبد الغني الدهلوي نزيل المدينة المنورة.

الثاني: عن الشيخ المحدّث مولانا أحمد علي السهارنفوري.

الثالث: عن الشيخ العارف مولانا محمّد مظهر النانوتوي.

الرابع: عن الشيخ المحدّث القارئ مولانا عبد الرحمان الفاني فتّي.

وهؤلاء الأعلام كلّهم عن الشيخ الأجل المحدّث الشاه الدهلوي، عن حبر الأمة المحدث العارف الشيخ عبد العزيز الدهلوي، عن والده الشيخ الإمام الحجة قطب الدين أبي الفياض أحمد المدعو بـ"الشاه ولي الله الدهلوي"، عن الشيخ أبي طاهر المدني، عن والده الشيخ إبراهيم الكردي، عن المزاحي، عن الشهاب أحمد السبكي، عن الشيخ النجم الغيطي، عن الشيخ زين الدين زكريا، عن عزّ الدين الشيخ عبد الرحيم، عن الشيخ عمر المراغي، عن الفخر بن البخاري، عن عمر بن الطبرزد البغدادي بإسناده إلى الحافظ الحجّة أبي عيسى الترمذي صاحب "الجامع". ومن شاء الاطلاع على أسانيد الشيخ عبد الغني وأحوال رجالها فليراجع إلى "اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني".

- الإسناد الثاني: عن شيخه الشيخ المحدّث الصالح محمد إسحاق الكشميري المتوفى بالمدينة مهاجراً سنة ١٣٢٢هـ، عن الشيخ السيد نعمان الآلوسي، عن والده أعلم بغداد الشيخ الحبر مولانا محمود الآلوسي البغدادي صاحب "روح المعاني"، بالإسناد المثبت في ثبته، وهذا هو الإسناد الذي يقول لأجله الشيخ الكشميري في بعض مؤلفاته: "قال شيخي بواسطتين محمود الآلوسي في روح المعاني...".
- الإسناد الثالث: عن الشيخ حسين الطرابلسي الجسر صاحب "الرسالة الحميدية" و"الحصون الحميدية" بإسناده إلى الشيخ السيد أحمد الطحطاوي المصري شارح "الدر المختار" و"مراقي الفلاح"، استجاز عنه الشيخ رحمه الله بالمدينة المنورة[1].

[1] البنّوري، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، ص٨٥-٨٤.

مؤلفاته في الحديث

١- **فيض الباري على صحيح البخاري** من أماليه في درس الحديث، شرحٌ حافلٌ على صحيح البخاري في أربع مجلدات ضخمة، وقد قام بجمعه وتدوينه تلميذه العلّامة الجليل الشيخ محمّد بدر عالم الميرتهي رحمه الله، وقد علّق عليه تعليقات أنيقة نافعة جداً، وقد طُبع بمصر سنة ١٣٥٧هـ بنفقة المجلس العلمي في الهند.

٢- **العرف الشذي من جامع الترمذي،** من أماليه في درس جامع الترمذي، في٤٨٨ صفحة، جمعه تلميذه الشيخ محمد جراغ لنفسه، جمعه في غاية السرعة والارتجال، ثم طبعه تلبيةً لطلب بعض الطالبين لعلوم الشيخ.

٣- **أماليه على سنن أبي داود،** المطبوع منه جزءٌ واحدٌ، والباقي لم يطبع.

٤- **أماليه على صحيح مسلم،** ضبطها الفاضل الشيخ مناظر أحسن الجيلاني-الأستاذ بالجامعة العثمانية بحيدرآباد دكن- من أصحابه، ولم تطبع.

٥- **حاشيته على سنن ابن ماجه،** وكانت موجودة مدة طويلة لدى الشيخ السيّد محمّد إدريس، لكن اليوم لا يدرى أين ضاعت هي؟

٦- **فصل الخطاب في مسألة أمّ الكتاب،** جزءٌ متوسطٌ في ١٠٤ صفحة في تحقيق حديث الفاتحة خلف الإمام.

٧- **خاتمة الخطاب في فاتحة الكتاب،** ألّفه بالفارسية في الموضوع السالف، ألّفه في يومٍ أو يومين في ابتداء عهده بالتدريس في دار العلوم بديوبند من غير مراجعة كتابٍ، وعليه تقريظ شيخه العلاّم شيخ الهند محمود حسن الديوبندي رحمه الله، أثنى عليه وعلى دقّة نظره.

٨- **نيل الفرقدين في رفع اليدين،**كتابٌ متوسطٌ في ١٤٥ صفحة، وقال الشيخ في مقدّمته: "فهذه نبذةٌ في مسألة رفع اليدين قبل الركوع وبعده، وبين السجدتين وبعد الركعتين، سمّيتها "نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين" وإنما أردت بها أن بيد كل واحد من الفريقين وجهاً بوجهين، وهما على الحقّ من الجانبين، وليس الاختلاف اختلاف النقيضين، بل اختلاف تنوّعٍ في العبادة من الوجهين، وإنما بقي الاختلاف في الأفضل من الأمرين"[١].

٩- **بسط اليدين لنيل الفرقدين،** قد حاول فيه الشيخ تطبيق الروايات المتعارضة في بعض المسائل المختلف فيها بين الأئمة.

١٠- **كشف الستر عن مسألة الوتر.**

١١- **التصريح بما تواتر في نزول المسيح.**

[١] الكشميري، **مجموعة رسائل الإمام الكشميري،** ج١، ص١٦١.

المصادر والمراجع

١. ابن خزيمة، الإمام أبو بكر النيسابوري، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق د. الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١٣٩٠هـ).

٢. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، **السيرة النبوية**، تحقيق طه عبد الروف سعد، (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ).

٣. أبو بكر الجصاص، أحمد بن علي في **أحكام القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،ط١٤٠٥هـ).

٤. أبو داود، الإمام سليمان السجستاني، **سنن أبي داؤد**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ).

٥. البخاري، محمّد بن إسماعيل، **الصحيح**، تحقيق محب الدين الخطيب، (القاهرة: المطبعة السلفية، ط١، ١٤٠٠هـ).

٦. البنوري، محمد يوسف، **مقدّمات الإمام البنوري**، (كراتشي: المكتبة البنورية، ط١، ١٤٠٠هـ).

٧. البنّوري، محمد يوسف، **نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور**، (كراتشي: المكتبة البنورية، ط٢، ١٤٢٤هـ).

٨. الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق د. بشار معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٦م).

٩. الشافعي، محمّد بن إدريس، **كتاب الأمّ**، (بيروت: دار المعرفة).

١٠. العسكري، أبو هلال، **كتاب الصناعتين**،(مطبع محمود، ط١، ١٣١٩هـ).

١١. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، **البناية شرح الهداية**، (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤١١هـ).

١٢. العيني، بدر الدين، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (بيروت: دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢١هـ).

١٣. كوندو عبد الرحمان، **تقدس أنور**، (كراتشي: الجامعة الإسلامية أحسن العلوم).

١٤. الكشميري، أنظر شاه، **حيات كشميري**.

١٥. الكشميري، **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، (بيروت: دار القلم، ط٥، ١٤١٢هـ).

١٦. الكشميري، أنور شاه، **رسائل الإمام الكشميري**، (كراتشي: إدارة القرآن، ط١، ١٤١٦هـ).

١٧. الكشميري، **فيض الباري على صحيح البخاري**، (باكستان: المكتبة الرشيدية، ط ١٤٢٩هـ).

١٨. اللكنوي، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ).

١٩. مسلم، الإمام أبو الحسين النيسابوري، **الصحيح**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

٢٠. النسائي، الإمام أحمد بن شعيب، **سنن النسائي الصغرى**، (بيروت: دار المعرفة).

٢١. النسائي، الإمام أحمد بن شعيب، **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق حسن شلبي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ).